

مطاعن المستشرقين في السنة النبوية بودلي وأبورية أنموذجا

The orientalism of the Orientalists in the prophetic and apocalyptic

Prophetic Sunnah

L'orientalisme des orientalistes dans le prophète et apocalyptique prophète Sunna

1. طيايبة تقي الدين ، كلية الشريعة جامعة باتنة والهاتف: 0698615301 والبريد الالكتروني: tiaibataki@gmail.com (tiaiba takiddine)

تاريخ النشر: 2019/06/30

تاريخ الاستلام: 2018/04/04

الملخص:

ظهرت في بعض الفترات من تاريخنا الإسلامي فرق وطوائف منحرفة أنكرت السنة والاحتجاج بها ، فمنهم من أنكر السنة النبوية صراحة ودعا إلى نبذها بالكلية ، زعماً منهم أنه لا حاجة إليها ، وأن في القرآن ما يغني عنها ، وفريق آخر رأى الحجية في نوع منها دون غيره ، وكلا الأمرين بلا شك انحراف عن جادة الطريق ولقد كان أول من تعرض لهذه المذاهب المنحرفة وردّ على أصحابها ودحض شهادتهم هو الإمام الشافعي رحمه الله تعالى ومن هذا حذوه من بعده. لقد كادت تلك الطوائف التي أنكرت السنة جملة وطعنت فيها أن تنقرض، حتى ظهرت فئة من المستشرقين و أشباعهم في بلادنا العربية و الإسلامية و الذين لم يألوا جهدا في محاولة القضاء على الإسلام وهدم أصوله وأركانه ولقد بحث هؤلاء المستشرقون في كل جوانب الإسلام ، فلم يغيب عنهم أهمية السنة النبوية من حيث أنها المصدر التشريعي الثاني بعد القرآن الكريم ، وفيما توضيحه وبيانه ، ولذا تناولوها بالطعن والتشويه وتلفيق الشبهات حولها.

كلمات مفتاحية:مطاعن. السنة، المطاعن. السنة، المطاعن. السنة، المطاعن. السنة، المطاعن. السنة.

Abstract:

In some periods of our Islamic history, sects and deviant sects denied Sunnis and protested them. Some of them explicitly denied the Sunnah and called for their total rejection, claiming that they do not need it, and that in the Qur'an there is no need for it. And both are undoubtedly deviating from the seriousness of the road has been the first to be exposed to these doctrines deviant and responded to the owners and refute their suspicions is Imam Shafi'i God's mercy and

then follo his example These sects, which denied the Sunnis in a sentence and insisted that they be extinct, even emerged a group of orientalisists and their sympathizers in our Arab and Muslim countries who did their best to try to eliminate Islam and destroy.

Keywords: The orientalism; Sunna; The orientalism; Sunna; The orientalism.

Le résumé :

À certaines périodes de notre histoire islamique, des sectes et des sectes déviantes ont condamné les sunnites et protesté eux. Certains d'entre eux ont explicitement nié la Sunna et ont appelé à leur rejet total, affirmant qu'ils n'en avaient pas besoin et que, dans le Coran, ils n'étaient pas nécessaires. Et les deux dévient toujours du sérieux de la route a été le premier à être exposé à ces doctrines déviantes et à répondre aux propriétaires et réfuter leurs soupçons is la miséricorde de Dieu Imam Shafi'i et ensuite suivre son exemple Ces sectes, qui ont condamné les sunnites dans une phrase et insisté sur le fait qu'elles sont éteintes, ont même fait leur apparition chez un groupe d'orientalistes et de leurs sympathisants dans nos pays arabes et musulmans qui ont fait de leur mieux pour tenter d'éliminer l'islam.

Mots clés : L'orientalisme, Sunna, L'orientalisme, Sunna, L'orientalisme.

❖ مقدمة:

ظهرت في بعض الفترات من تاريخنا الإسلامي فرق، وطوائف منحرفة أنكرت السنة والاحتجاج بها، فمنهم من أنكر السنة النبوية صراحة ودعا إلى نبذها بالكلية، زعماً منهم أنه لا حاجة إليها، وأن في القرآن ما يغني عنها، وفريق آخر رأى الحجية في نوع منها دون غيره، وكلا الأمرين بلا شك انحراف عن جادة الطريق ولقد كان أول من تعرض لهذه المذاهب المنحرفة ورداً على أصحابها ودحض شبهاتهم هو الإمام الشافعي رحمه الله تعالى ومن هذا حذوه من بعده.

لقد كادت تلك الطوائف التي أنكرت السنة جملة وطعن فيها أن تنقرض، حتى ظهرت فئة من المستشرقين و أشياعهم في بلادنا العربية و الإسلامية، و الذين لم يألوا جهداً في محاولة القضاء على الإسلام وهدم أصوله وأركانه ولقد بحث هؤلاء المستشرقون في كل جوانب الإسلام، فلم يغب عنهم أهمية السنة النبوية من حيث أنها المصدر التشريعي الثاني بعد القرآن الكريم، وفيما توضيحه وبيانه، ولذا تناولوها بالطعن والتشويه وتلفيق الشبهات حولها، وخلال الفترة ما بين النصف الثاني من القرن التاسع عشر حتى الربع الأول من القرن العشرين كان الاستشراق في ذروته لأنه كان مدعوماً من قبل الحكومات الغربية التي كانت توفر له الأسباب المعينة على دراسة العلوم الإسلامية حتى يتمكن الاستعمار الغربي في البلاد الإسلامية، فبحث هؤلاء في كل ما يتصل بالإسلام من تاريخ وفقه وتفسير وحديث وأدب وحضارة حتى غزت تلك البحوث العالم الإسلامي في مؤسساته الفكرية والتربوية ومناهج التعليم، وكان العديد من المسلمين قد تتلمذوا على أيدي أولئك المستشرقين.

لقد نجح كثير من هؤلاء المستشرقين في التأثير على عقول بعض المسلمين، فانخدعوا بكتاباتهم ودراساتهم حول الإسلام وهماً، منهم من رأى أنها قامت على الموضوعية والحياد والإنصاف والتجرد في البحث العلمي، ومن ثم اقتفوا آثارهم، ورددوا دعاواهم التي لم يقيموا عليها أي بينة بل زادوا عليها من أنفسهم، وكل هؤلاء وأولئك نفثوا سمومهم باسم البحث والمعرفة وحرية النقد وهم أبعد ما يكونوا عن العلم الصحيح والبحث القويم والنقد النزيه وبذلك جاءت كتابات هذا الفريق من تلامذة المستشرقين حول الإسلام عموماً والحديث النبوي خصوصاً لا تقل عن كتابات المستشرقين في إثارة الشبه والتشكيك في مصادر الشريعة الإسلامية.

إذن ما هي السنة؟ وما هي الشبهات الاستشراقية الجديدة التي تطعن في السنة؟ وكيف يمكن رد هذه الشبهات وبيان صفاء السنة؟.

❖ أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى معرفة العديد من القضايا التي تعالج هذا الموضوع من بينها:

- 1- مفهوم السنة
- 2- بيان الشبهات التي تطعن في السنة من خلال كتاب بودلي، وأبورية الحداث
- 3 - كيف يمكن رد هذه الشبهات
- 4- ما هي الأفاق التي يقدمها البحث من خلال هذا الرد
- 5- بيان مصدريّة السنة بأنها وحي، ومصدر من مصادر التشريع الإسلامي، كشف الشبهات التي يروجها المستشرقون من خلال الطعن في السنة القولية، وبيان ضعف مذهبه في ذلك وإسقاطه، إزالة اللثام وكشف القناع عن مخططات أعداء الإسلام .

1- المبحث الأول: مفهوم السنة ومكانتها في التشريع:

1-1- مفهوم السنة من الناحية اللغوية والاصطلاحية:

■ السنة من الناحية اللغوية:

استعمل العرب كلمة السنة منذ عهد الجاهلية قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم بمعنى (الطريقة) حسنة كانت أم قبيحة.

يقول ابن منظور: السنة السيرة (السنة السيرة حسنة كانت أو قبيحة) تعني الطريقة المعتادة كانت حسنة أم قبيحة، كما قال الشاعر خالد ابن عتبة الهذلي: لا تجزعن من سيرة أنت سرتها فأول راض سنة من يسيرها.¹ وورد لفظ السنة في القرآن الكريم بمعنى الطريقة والشرعة في أكثر من موضع منه قول الله تعالى: (يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذَيِّبَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنْنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ٢٦)².

كما ورد لفظ السنة في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمعنى الطريقة في كلام الرسول صلى الله عليه وسلم في أكثر من موضع أيضا منها ما رواه مسلم في حديثه الطويل عن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه وفيه قال الرسول صلى الله عليه وسلم (من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء)³.

■ السنة من الناحية الاصطلاحية يختلف معنى السنة في اصطلاح الفقهاء عنه في

اصطلاح المحدثين وفي اصطلاح الأصوليين.

-معنى السنة عند الفقهاء:

فأما الفقهاء فيذكرون السنة في أبواب العبادات في مقابلة الفرض، فغسل الوجه فرض، أما تثليث الغسل سنة، فهي تطلق عند الفقهاء (على ما يثاب فاعله ولا يعاقب تاركه)⁴. وتنقسم السنة عندهم إلى قسمين وهما: سنة الهدي وسنة الزوائد، فسنة الهدي، فعله النبي صلى الله عليه وسلم على سبيل العبادة كركعتي الفجر والضحى. أما سنة الزوائد ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم على سبيل العادة ما يتعلق بمشيئه وقيامه وعوده⁵.

- السنة عند الأصوليين:

أما الأصوليون فيذكرون السنة دليل من أدلة التشريع الإسلامي في مقابلة الكتاب والإجماع والقياس، ويعرفونها بأنها ما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير⁶.

-أما المحدثون فيعرفون السنة:

بأنها ما أضيف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير أو وصف أو سيرة هذا عند بعضهم وعند الأكثر أنها ما أضيف إلى الصحابي أو التابعي ويشمل الوصف وصيغات الخلقية والخلقية، كما تشمل سيرته قبل البعثة وبعدها. لذلك السنة عند المحدثين أعم من السنة عند الأصوليين لأنهم يدخلون سيرته و صفاته الخلقية والخلقية⁷.

ويعود سبب اختلافهم في الاصطلاح إلى اختلافهم في الأغراض التي تعنى بها كل فئة من أهل العلم، فعلماء الحديث بحثوا عن رسول الله الإمام الهادي الذي أخبر عنه الله أنه القدوة والأسوة لنا فنقلوا كل ما يتصل به من سيرة ولقى وشمائل وأخبار وأقوال.

وعلماء الأصول بحثوا عن رسول الله المشرع الذي يضع القواعد للمجتهدين من بعده ويبين للناس دستور الحياة فعنوا بأقواله وأفعاله وتقريراته التي تثبت الأحكام وتقررها.

وعلماء الفقه إنما بحثوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تخرج أفعاله عن الدلالة عن الحكم الشرعي وفعل المكلف من حيث كونه واجبا أو مندوبا أو حراما أو مكروها أو مباحا⁸.

هذا وقد يرد لفظ السنة ولكن ليست على اصطلاح الأصوليين والفقهاء والمحدثين، وذلك كما ورد في اصطلاحات النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين لحديث رسول الله الذي رواه أنس عن النفر الثلاثة لما قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم (فمن رغب عن سنتي فليس مني)⁹، فالسنة هنا هي

الطريقة المتبعة في الدين¹⁰، وفي هذا يقول الحافظ بن حجر العسقلاني والمراد بالسنة الطريقة التي لا تقابل الفرض¹¹.

2-1 مكانة السنة في التشريع:

كان الصحابة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يستفيدون أحكام الشرع من القرآن الكريم الذي يتلقونه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكثيرا ما تنزل آيات القرآن مجملة غير مفصلة، أو مطلقة غير مقيدة، كالأمر بالصلاة، جاء مجملا لم يبين في القرآن عدد ركعاتها ولا هيئتها ولا أوقاتها، وكالأمر بالزكاة جاء مطلقا لم يقيد بالحد الأدنى الذي تجب فيه الزكاة، ولم تبين مقاديرها ولا شروطها، وكذلك كثيرا من الأحكام التي يمكن تنفيذها دون الوقوف على شرح ما يتصل بها من شروط وأركان ومفسدات، فكان لابد لهم من الرجوع إلى الرسول صلى الله عليه وسلم لمعرفة الأحكام معرفة تفصيلية واضحة¹².

وكذلك كانت تقع لهم كثير من الحوادث التي لم ينص عليها القرآن فجاء تفصيلها عن طريقه صلى الله عليه وسلم وهو مبلغ عن ربه، وأدرك الخلق بمقاصد شريعة الله وحدودها ونهجها ومرامها. وقد أخبر الله في كتابه الكريم عن مهمة الرسول صلى الله عليه وسلم بالنسبة للقرآن أنه مبين له وموضح لمراميه، حيث يقول: (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)¹³.

كما بين أن مهمته إيضاح الحق حين يختلف فيه الناس: (وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)¹⁴، وأخبر أنه أوتي الكتاب والحكمة لقوله تعالى: (لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ)¹⁵.

وقد ذهب جمهور العلماء إلى أن الحكمة شيء آخر غير القرآن الكريم، وهو ما أطلعه الله عليه من أسرار دينه وأحكام شريعته، ويعبر العلماء عنه بالسنة، قال الشافعي رحمه الله: (فذكر الله الكتاب وهو القرآن، وذكر الحكمة فسمعت من أرضي من أهل العلم بالقرآن، يقول الحكمة سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأن القرآن ذكر وأتبعته الحكمة، وذكر الله منه على خلقه بتعليمهم الكتاب والحكمة، فلم يجز والله أعلم أن يقال الحكمة هنا إلا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم¹⁶).

كذلك يدل على ذلك أن الله أوجب على المسلمين اتباع الرسول فيما يأمر وينهى يقول الله تعالى (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا) وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ¹⁷، وحث على استجابته

لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ)¹⁸.

قال ابن القيم: فإذا جعل الله من لوازم الإيمان أنهم لا يذهبون مذهبا إذا كانوا معه إلا باستئذانه، فأولى كان من لوازمه ألا يذهبوا إلى قول ولا مذهب علمي إلا بعد استئذانه، وإذنه يعرف بدلالة ما جاء به على أنه أذن به)¹⁹.

من هذا كله كان لابد للصحابة من الرجوع إلى الرسول صلى الله عليه وسلم يفسر لهم أحكام القرآن ويبين لهم مشكلاته ويحكم بينهم في المنازعات، ويحل بينهم الخصومات، وكانوا يلتزمون أمره ونهيه ويتبعونه في أعماله وعباداته ومعاملته، إلا ما علموا أنه خاص به يأخذون منه أحكام الصلاة وأركانها وهيئاتها نزولا عند أمره (صلوا كما رأيتموني أصلي)²⁰.

من المقرر لدى جمهور المسلمين أن السنة النبوية هي المصدر التشريعي الثاني بعد القرآن الكريم. ومن المقرر أن تقديم القرآن على السنة النبوية هو تقديم اعتباري لأنه الأصل وهي الفرع. فالقرآن أصل، لأنه ثابت، ومقطوع به على الجملة والتفصيل. والسنة مقطوع بها على الإجمال فقط²¹.

ولذلك لا يخفى على دارس السنة النبوية وتاريخ الأدوار التي مرت بها أنها تلقت اهتماما كبيرا وعناية بالغة من المسلمين منذ صدرت عن النبي صلى الله عليه وسلم قولاً أو فعلاً أو تقريراً أو صفة خلقية أو صفة خلقية ولم يخطر على ببال أحد ممن آمن بالله ورسوله أن يحيد عن حديثه أو سنته قيد شعرة فضلا عن إنكارها أو رفض حجيتها.

وقد بلغ من اقتدائهم به أن كانوا يفعلون ما يفعل ويتركون ما يترك دون أن يعلموا عن عليته أو سببه فقد أخرج البخاري من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله اتخذ خاتما، فاتخذ الناس خواتمهم من ذهب، ثم نبذه النبي وقال لن ألبسه أبدا فنبذ الناس خواتمهم²².

أدخل هنا محتوى العنوان الفرعي الأول، أدخل هنا محتوى العنوان الفرعي الأول، أدخل هنا محتوى العنوان الفرعي الأول، أدخل هنا محتوى العنوان الفرعي الأول، أدخل هنا محتوى العنوان الفرعي الأول.

2- المبحث الثاني: مطاعن المستشرقين في السنة النبوية (بودلي - أبورية)

1-2- مطاعن بودلي في السنة النبوية:

أ/بودلي هو مستشرق بريطاني التحق بالجيش البريطاني سنة 1908م، وتدرج في رتبته إلى أن وصل إلى رتبة كولونيل، عمل في وحدة الجيش البريطاني بالعراق ثم بشرق الأردن عام 1922م، ثم مستشارا للسلطنة عام 1922م²³.

ب/ كتابه الرسول حياة محمد: هذا من الكتب الخطيرة في الاستشراق التي تطعن في حياة محمد صلى الله عليه وسلم وتطعن في سيرته.

د/شبهات بودلي في السنة من خلال كتابه حياة محمد:

من شبهات بودلي في السنة لغطه حول أحداث نتائج سرية عبد الله جحش: فلما هدأت الضجة الأولى، لجأ إلى شيء كان يفعله كلما كان حرجا وهو أنه يوحى إليه، وأن هذا الوحي يحمل إليه رأي الله في الأمر الذي يقلق رسوله، قال: (يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه)²⁴.

وشبهة بودلي الثانية في تحليله لحديث الإفك وعرف محمد أنه الوحيد الذي يلام، فإن الفضيحة ستستمر ما دام مترددا، فمن واجبه أن يحكم ببراءة عائشة أو إدانتها، فقام بعمل بعمل حاسم كما هي عادته في المعارك²⁵.

ويصور عقوبة الإفك بأنها تشريع من محمد فيقول: فلما انتهى أمر تنفيذ العقوبة التي شرعها الآن في حسان وحمنة ومسطح، وكان مسطح صديقا لأبي بكر، وكانوا ممن أفصح بالفاحشة²⁶.

شبهة إهمال التنبيه بين مرويات الروافض ومرويات أهل السنة في السيرة النبوية فاعتمد بودلي على زيادة التي أقحمها الروافض على خبر اجتماع الرسول بشيوخ رهطه بني هاشم عندما نزل قول الله تعالى: (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ)^{27 28}.

فإن مضمون الرواية الصحيحة أنه قال لهم: من يضمن عني ديني ومواعيدي ويكون معي في الجنة، ويكون خليفتي في أهلي فقال رجل: يا رسول الله، أنت كنت بحرا، فمن يقوم بهذا، وسكتوا جميعا، فأعاد الرسول القول، ولكن ظل القوم سكوتا، وهنا خرج علي من صمته، وقال أنا هذا هو القدر الذي رواه أئمة الحديث والمغازي والسير من عدة طرق وعلى رأسهم الإمام أحمد وابن اسحاق، والطبري²⁹. أما الزيادة التي ذكرها بودلي على هذا الحديث فهي: فلف محمد ذراعه حول ابن عمه: فقال أنت وصبي ووارثي وخليفتي من بعدي.

فهذه الوصية بالوراثة والخلافة من بعده هي روايات وافترافات الشيعة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فهي رواية ابن القاسم بن مريم فهو متروك الحديث فهو شيعي اتهمه علي بن المديني وغيره بوضع الحديث وضعفه أئمة آخرون³⁰.

ومن الشبهات الخطيرة التي أقحمها بودلي حول صفات النبي صلى الله عليه وسلم، وأصحابه رضوان الله عليهم مثال وصفه أبا بكر وعمر وعلياً رضي الله عنهم جميعاً بأنهم كانوا أعراباً بدواً لم يتقفوا، ويصف كذلك الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه كان أعرابياً.³¹

ففيما يتعلق بوصفه صلى الله عليه وسلم بأنه كان أعرابياً، يكفي ردّه على نفسه حين يقول في مكان آخر من كتابه: إن محمداً لم يكن بدوياً، وفي هذا أكبر دليل على تناقضاته في كثير من أقواله وإن كان أبو بكر مثلاً في نظره بدوياً فلم يقول إنه لم يألّف حياة التقشف وإنه من أصحاب الملايين بمكة، إنه التناقض الذي يلزمه، فهو ينقض ما يثبته ولو من بعد صفحة واحدة.³² وأيضاً المبالغة في وصف زوجات النبي صلى الله عليه وسلم حيث يدس سمومه في هذا الباب فيقول عن أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنه، إنها كانت جميلة، ويبدو هنا أنه أخذ معلوماته عن شيخه درمنجهم الذي وصف حفصة بالحسن والجمال³³، ولكن الحقيقة التي تذكرها السيرة تنسف كلام بودلي والدليل على ذلك شهادة عمر رضي الله عنه حين رآها تقف في صف عائشة رضي الله عنه في قصة اعتزال الرسول زوجاته، فقال لها كما روى البخاري: يا بنية لا يغرنك هذا الذي أعجبها حسنهما³⁴، وقال في رواية مسلم: ولا يغرنك أن كانت جارتك. أي ضرتك وفي لفظ إحدى روايات مسلم زيادة هي: والله لقد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحبك ولولا أنا لطلقتك رسول الله صلى الله عليه وسلم.³⁵

وكذلك يصف جميع زوجاته بأنهن كانوا جذابات وجماليات، ويناقض نفسه في نفس الوقت ويقول وكن منهن خمس دميمات.³⁶

شبهته في مناقضة الكثير من الأحاديث التي تثبت اجتماعية الرسول صلى الله عليه وسلم، وزعم بودلي أن الرسول كان ميالاً إلى الوحدة وكان يقضي جلّ أوقاته في الرعي، لكن كتب السيرة تثبت خلاف ذلك، فالرسول اشتغل بمهنة الرعي في صباه، وكان اجتماعياً يخالط الناس، وهناك أحاديث كثيرة صارخة تثبت معايشة النبي صلى الله عليه وسلم للناس منه قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم أعظم أجراً من الذي لا يخالطهم ولا يصبر على أذاهم).³⁷

ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: "المؤمن يألف ويؤلف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف".³⁸

الطعن في الصحابي الجليل علي رضي الله عنه واتهامه بسجوده للأصنام وأنه شب على الوثنية الهاشمية³⁹، والمشهور تاريخياً أنه أسلم صغيراً على حساب ما جاء في أكثر الروايات منها أنه في الخامسة طبقاً لأقواها، أو الثامنة أو العاشرة وقيل في الثالث عشرة، أو الخامسة عشر.⁴⁰

واستناد بودلي ومشايخه في ذلك لرواية ابن إسحاق الغير المسندة، وفيها أن عليا لما طلبه الرسول صلى الله عليه وسلم أمره بأن يكفر باللات والعزى، والملاحظ أن درمنجهم أحد مراجعه ينفي كلام ما ذهب إليه بودلي قال: لم يكن عليا لما أسلم يبلغ الحلم، ولم يعبد الأصنام، ولم سجد لغير الله.⁴¹

ومن شبه بودلي زعمه بأن ليلة الإسراء والمعراج من الخرافات والأساطير التي تكلم بها القراءان الكريم، لأنه كان يرى أن القراءان الكريم ليس وحيا وأنه من صنيع محمد صلى الله عليه وسلم، ونسف ما جاءت به الروايات الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل كل ذلك ليس بصحيح⁴²، فقد جاء في صحيح البخاري حوالي عشرين رواية على حادثة الإسراء والمعراج، وهذه الرواية عن ستة من الصحابة، وجاء أيضا في صحيح مسلم أكثر من ثمانية عشر رواية وعن سبعة من الصحابة.⁴³

تشكيك المستشرق بودلي في بعض أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم التي تقضي بمشاركة الملائكة في القتال مع المسلمين ضد المشركين، وهذا مردود عليه بأدلة الكتاب من ذلك قول الله تعالى (إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين)⁴⁴

بالإضافة إلى الأحاديث الصحيحة التي تبطل صدق دعواه، فمن ذلك حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي رواه مسلم: بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في إثر رجل من المشركين أمامه، إذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس يقول أقدم حيزوم، فنظر إلى المشرك فخر مستلقيا، فنظر إليه فإذا هو قد خطم أنفه، وشق وجهه، فجاء الأنصاري فحدث بذلك الرسول صلى الله عليه وسلم فقال: صدقت ذلك من مدد السماء الثالثة.

وروى أحمد أن ملكا أسر العباس يوم بدر، وروى البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر: هذا جبريل أخذ برأس فرسه عليه أداة الحرب إلى غيرها من الروايات الصحيحة التي تثبت خلاف ما ادعاه هذا المستشرق.

2-2- مطاعن أبورية في السنة النبوية:

أ/ ولد بكفر المندرة بمحافظة الدهقلة بمصر في ديسمبر 1889م، وقضى معظم أيامه في المنصورة حتى وفد إلى الجيزة، وعرف بانتقاده للسنة القولية.

ب/ كتابه أضواء على السنة النبوية هذا أخطر الكتب التي تشن هجوما على السنة النبوية وتنتقص من قدرها، كما له كتاب آخر خصّه في الطعن في أبي هريرة، وهذا ما يلا حظ في التدليل على مذهب إليه بعض المستشرقين، وخاصة ما أورده في صفحة 81 و صفحة 171 و صفحة 172.

ج/من شبهات أبورية في السنة النبوية

من شبهات أبورية فقال في صفحة أربعة والصفحة خمسة على أنه أي الحديث فإن العلماء والأدباء لم يولوه بما يسحق من العناية والدرس، وتركوا أمره لمن يسمونهم رجال الحديث، يتداولونه فيم بينهم وعلى طريقتهم.

ولكن الردّ عليه إن كان يقصد الفقهاء فقد بذلوا الوسع، و غاية جهدهم وأولوه من العناية والدرس، حسب في ذلك كتب أحاديث الأحكام والتعليقات والشروح عليها في عشرات المجلدات والموسوعات، وإن أراد علماء الحديث فقد عنوا بالحديث دراية ورواية وتأليف المتون في ذلك والشروح والتعليقات عليها، وإن أراد علماء الأخلاق والمواعظ فقد جعلوا الأحاديث نبعاً فياضاً لما ألفوه في كتبهم، وإن قصد علماء الأدباء والبلاغة فكتبهم مملوءة بالاستشهادات من حديث رسول لله صلى الله عليه وسلم.⁴⁵

والشبهة الثانية لأبي رية زعمه أن المحدثين صبوا جهودهم فقط على نقد السند والمتن، لكن كيف يصلح كلامه ويتفق مع ما ذهبوا إليه من الحكم على المتن والنكارة والاضطراب والتعليل والوضع والاختلاق، وأمارات يستدل بها على وضع الحديث، فقد جعلوا من أمارات الوضع ركافة اللفظ بحيث يشهد الخبر باللغة العربية أنه ليس من فصيح، فكيف بأفصح الفصحاء لذلك كان يقول الربيع بن خثيم (إن للحديث ضوء كضوء النهار يعرفه، وظلمة كظلمة الليل تنكره).⁴⁶

استشهاد بالأحاديث الموضوعة لأجل التشكيك في السنة وهذا ما فعل في صفحة 29 روى أن عمر حبس أبا موسى وأبا الدرداء في المدينة على الإكثار من الحديث إنه خبر ظاهر في الكذب ويعزوا هذا الكلام لابن حزم افتراء وكذبا عليه، وطعن في الصفحة 123 حديث الإسراء والمعراج، وحمل موسى ومحمد صلى الله عليه وسلم على مراجعة ربه من الإسرائيليات، واعتبر الحديث الذي يشهد بالهجرة وشد الرحال فقط إلى المساجد الثلاثة من الإسرائيليات وذكر ذلك في صفحة 129.⁴⁷

الشبهة الخطيرة التي توصل إليها بعد البحث والصبر والأناة ما ذكره من أن الأحاديث رويت بالمعنى في الصفحة 8 لما قال (ذلك أني وجدت أنه لا يكاد في كتب الحديث كلها مما يسمونه صحيحاً أو حسناً حديث قد جاء على حقيقة لفظه و محكم تركيبه كما نطق به الرسول، وقد بلغ بالمؤلف من المجازفة لما قال ونح ن لا نقول أن الأحاديث رويت كلها بألفاظها، وكيف ثبت ذلك وأن القصة أو الواقعة الواحدة رويت بألفاظ مخلف وإن كان المعنى واحداً، أفلا يدل اتفاق الروايات على اللفظ أن هذا حقيقة اللفظ المسموع من الرسول.⁴⁸

أما ما ادعاه على مما تبين له ما يسمونه صحيحا إنما هو نظر في رواته لا أنه صحيح في ذاته، فقد قال أئمة الحديث إن الحكم على الحديث بالصحة والحسن والضعف، إنما هو ما ظهر للمحدث من شروط الصحة والحسن أو عدم تحققها، وليس المراد أنه صحيح أو حسن في نفس الواقع والأمر، إذ لا يعلم ذلك إلا علام الغيوب.

واضطرابه في بيان السنة في صفحة 17 فقد جعل الكتاب في الدرجة الأولى، والسنة العملية في الدرجة الثانية والسنة القولية في الدرجة الثالثة ويدل على كلامه بما نقله الشاطبي في الاعتصام، وهذا الكلام ليس موجودا أصلا عند الشاطبي بل ما أورده الشاطبي في كتابه، أنه جعل الكتاب هو المصدر الأول ثم السنة النبوية في الدرجة الثانية سواء كانت عقلية أو عملية أو تقريرية.⁴⁹

كما استشهد بقول رشيد رضا بأنه جعل السنة العملية في الدرجة الثانية، فعلى هذا التأسيس جعله من الأدلة على قوة صدق ما ادعاه، لكنه لم يفهم كلام محمد رشيد رضا رحمه الله أصلا فهو يقصد السنة العملية المتفق عليها لا مطلق السنة.⁵⁰

من شبه أبي رية أيضا تهكمه على المحدثين وتجهيله لهم من صفحة 75 إلى غاية الصفحة 79 عرض للحن والخطأ في الحديث والزيادة والنقصان والتقديم والتأخير، ورواية بعض الحديث والاختصار بأسلوب تهكمي، وطرقته في سرد الأقوال تظهر المحدثين بمظهر المتساهلين، ثم ذكر عنوانا بالخط العريض فقال (تساهلهم أي المحدثين فيما يروى في الفضائل وضرر ذلك، وهو يوهم من لا يعلم أن المحدثين جميعا على هذا، مع أن كثيرا من الأئمة ومسلم وابن خزيمة قد جردوا كتبهم للصالح، وتحروا الأحاديث غاية التحري في ذكر أحاديث الفضائل، إضافة إلى ذلك أن المحدثين لم يأخذوا بالضعيف في الفضائل إلى بشروط يعرفها أهل الفن في هذا الباب، وهذا التلييس والتدليس قد استعرضه في كتابه أصول الحديث، وقام بالتشنيع بالمحدثين، وأقرب هذه الكتب وأشهرها للعلامة الشيخ الطاهر الجزائري.⁵¹

وخلط أبو رية بين الوضع والإدراج ففي صفحة 104 ذكر الوضع بالإدراج، وجعل المدرج من قبيل الموضوع، وإطلاق الموضوع على المدرج تساهل، إن بعض أئمة الحديث كابن الصلاح، اعتبر الإدراج عن طرق الغلط بظن ما ليس بحديث حديثا، والأكثر من على عده إدراجا فحسب، وكان على المؤلف أن يميز بين الإدراج الذي لا لبس فيه ولا إشكال فيه وبين الإدراج الذي فيه إيهام أن ما ليس من الحديث هو منه ، فالإدراج الذي يكون لتفسير كلمة غامضة، أو توضيح اسم مهم في السند، والإدراج الذي يكون عن قرائن لفظة بأنه مدرج في الكلام فهذا لا يقدح في عدالة الراوي، أما الإدراج الذي يكون بالإيهام ولبس لا تصحبه

قرائن فهو حرام فهو من الكذب المتعمد ويقدح في عدالة الراوي، ولذلك يقول السمعاني من تعد الإدراج فهو ساقط العدالة، ومن يحرف الكلم عن مواضعه فهو ملحق بالكذابين.⁵²

ومن مطاعن أبي رية طعنه في التابعي كعب الأخبار ففي صفحة 108 ذكر عنوان الإسرائيليات وبين منشأها إلى كعب الأخبار وابن منيه وأضرابهما من أهل الكتاب الذين أسلموا فنال منهم ما نال، لكن كعب الأخبار قد قطع له العديد أنه من التابعين والعلماء الفطاحل في الجرح والتعديل، وقد ترجم له الذهبي ترجمة صغيرة في تذكرة الحافظ، وتوسع ابن عساكر في ترجمته في كتابه تاريخ دمشق، وأطال أبو نعيم في الحلية في أخباره وعظاته وتخويفه لعمر، وترجم له ابن حجر في كتابه الإصابة.⁵³

❖ خاتمة:

إن المستشرقين الذين أنكروا السنة يظهرون خوفهم وحرصهم على الإسلام والقرآن ولكن الحق أنهم أحد رجلين إما رجل حقا يخشى على الإسلام ولكنه جاهل لا يعلم شيئا عن القرآن والسنة وإنما هي بعض الكلمات التقطها من هنا وهناك . وإما رجل عدو حاقد على الإسلام والقرآن ويريد هدم الإسلام جملة فلما لم يجد مطعنا في القرآن لجأ إلى إثارة الشبهات حول السنة للقضاء عليها. ومما يؤكد كلامي هذا أنه لا يوجد عالم واحد في أي فرع من فروع العلم الشرعي على مر التاريخ وإلى وقتنا الحاضر أنكر السنة والعمل بها وإنما هم من هذه الطائفة التي تسمي نفسها بالمتقنين والكتاب لكن لا علاقة لهم بالعلم الشرعي الصحيح، لأن كل العلماء اتفقوا جميعا على أن السنة هي المصدر الثاني للتشريع الإسلامي ولا يستغني عنها القرآن.

والعجيب أن هذه الشبهات التي أثارها هؤلاء العلمانيون أو المثقفون حول السنة ليست شبهات جديدة وإنما هي شبهات قديمة ظهرت في بادئ الإسلام أظهرها بعض الروافض طعنا في أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فالأمر ليس بجديد وإنما هو استرجاع لبدع ماضية بأسلوب عصري جديد. وقد واجه العلماء هؤلاء المبتدعة حتى ذهبت بدعتهم وبقيت السنة شامخة حتى جاء العصر الحديث وظهر مبتدعة القرن العشرين وأعادوا إثارة هذه الشبهات.

وهذه الشبهات تنقسم إلى قسمين:

شبهات عامة وشبهات خاصة تتلخص فيما يلي:

- 1- القرآن جمع كل شيء وفيه بيان كل شيء فلا حاجة إلى السنة.
- 2- السنة لم تكتب في عهد النبي صلى الله عليه وسلم.
- 3- السنة فيها الصحيح والضعيف والموضوع فليست محفوظة كالقرآن.

- 4- معظم السنة جاءتنا عن أبي هريرة وهو لم يصاحب النبي.
- 5- على القول بالعمل بالسنة فلا يعمل إلا بالحديث المتواتر في العقائد والأحكام أما الحديث الأحاد فلا.
- 6- أن جميع الأحاديث رويت بالمعنى مما يعنى تضييع ألفاظ النبي صلى الله عليه وسلم.

- الهوامش:

- ¹ ابن منظور، لسان العرب، دط، دار صادر، 2003م، ج7، ص 279، 280، 281، 283
- ² النساء 26
- ³ مسلم، الصحيح، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، رئاسة إدارة البحوث العلمية، الرياض، 1419هـ، 1017.
- ⁴ نور الدين عتر، منهج النقد في علوم الحديث، ط3، دار الفكر، دمشق، 1418هـ، ص28.
- ⁵ عبد المجيد الغاوري، السنة النبوية حجيتها وتدوينها، ط1، دار ابن كثير، بيروت، 2009م، ص14.
- ⁶ مصطفى السباعي، السنة النبوية ومكانتها من التشريع، ط1، الكتب الإسلامية، بيروت، 1418هـ، ص47
- ⁷ عبد المجيد الغاوري، المرجع السابق، 15.
- ⁸ مصطفى السباعي، المرجع السابق، ص48.
- ⁹ البخاري، الجامع الصحيح، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، 1421هـ، رقم 5063.
- ¹⁰ أبو غدة، السنة النبوية وبيان مدلولها الشرعي، ط1، دار البشائر الإسلامية، 1992م، ص17
- ¹¹ ابن حجر، فتح الباري، ج9، ص105.
- ¹² مصطفى السباعي، المرجع السابق، 67/68.
- ¹³ سورة النحل:44.
- ¹⁴ سورة النحل:64.
- ¹⁵ سورة آل عمران 165.
- ¹⁶ محمد بن ادريس الشافعي، الرسالة، تحقيق أحمد شاكر، ط1، مطبة مصطفى الحلبي وأولاده، مصر، 1938م، ص78.
- ¹⁷ سورة الحشر الآية 7
- ¹⁸ سورة الأنفال الآية 24
- ¹⁹ ابن القيم، إعلام الموقعين، ج1، تحقيق محي الدين عبد الحميد، ط1، دار النموذجية، بيروت، 2003م، ص44.
- ²⁰ أخرجه البخاري، وغيره في حديث لمالك بن الحويرث، باب الأذان، 213ص 70.
- ²¹ عبد المجيد الغاوري، السنة النبوية حجيتها وتدوينها، ط1، دار ابن كثير، بيروت، 2009م، ص19.
- ²² عبد المجيد الغاوري، المرجع نفسه، ص20.
- ²³ مهدي رزق الله، المرجع السابق، ص1.
- ²⁴ ر.ق. بودلي، المرجع السابق، ص185.

- ²⁵ ر.ق. بودلي، المرجع نفسه، 262/263/264.
- ²⁶ ر.ق. بودلي، المرجع نفسه، 286ص.
- ²⁷ سورة الشعراء: ص214.
- ²⁸ مهدي رزق الله، المرجع السابق، 40ص.
- ²⁹ مهدي رزق الله، المرجع نفسه، 41ص.
- ³⁰ ابن كثير ج6/180، شمس الدين ج2، 640/641.
- ³¹ ر.ق. بودلي، المرجع السابق، 164/165.
- ³² مهدي رزق الله، المرجع السابق، 45ص.
- ³³ ر.ق. بودلي، المرجع السابق، 209/210.
- ³⁴ البخاري، الجامع الصحيح مع الفتح الباري لابن حجر، مراجعة عبد الرؤوف سعد والسيد عبد المعطي، شركة الطباعة الفنية، مصر، 1421هـ ابن حجر 18/300/4913.
- ³⁵ مسلم، الصحيح، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، رئاسة إدارة البحوث العلمية، الرياض، 1419هـ 2/111-113/34ر ك
- الطلاق
- ³⁶ مهدي رزق الله، المرجع السابق، ص 47 .
- ³⁷ أخرجه الترمذي برقم 2507، وابن ماجة برقم 4032، من حديث ابن عمر، ص 48/49.
- ³⁸ جلال الدين السيوطي، الجامع الصغير، ج2، الحلبي، القاهرة، 1939م. ج2، ص 184.
- ³⁹ ر.ق. بودلي، المرجع السابق، ص 81
- ⁴⁰ أكرم 75.
- ⁴¹ مهدي رزق الله، المرجع السابق، ص 107.
- ⁴² ر.ق. بودلي، المرجع السابق، ص 137/138.
- ⁴³ مهدي رزق الله، المرجع السابق، ص 109.
- ⁴⁴ سورة آل عمران: ص9.
- ⁴⁵ محمد بن محمد أبو شهبه ، دفاع عن السنة ورد شهادات المستشرقين ، دار السنة، 1989م، ص 40.
- ⁴⁶ محمد أبو شهبه، المرجع نفسه ص 42.
- ⁴⁷ محمد أبو شهبه ، المرجع نفسه، ص 36.
- ⁴⁸ محمد أبو شهبه، المرجع نفسه، ص 46/47.
- ⁴⁹ محمد أبو شهبه، المرجع نفسه، ص 49.
- ⁵⁰ محمد أبو شهبه، المرجع نفسه، ص 50.
- ⁵¹ محمد أبو شهبه، المرجع نفسه، ص 63.
- ⁵² محمد أبو شهبه، المرجع نفسه، ص 69.

⁵³ محمد أبو شهبه، المرجع نفسه، ص 70.